

من نفائس الآثار

لخضرة الاستاذ سعيد الكرمي مقالة افتتاحية في الجزء الثاني من مجلة المجمع العلمي العربي عنوانها نفائس الآثار أتى بها على ذكر ما اقتناه المجمع مؤخراً من المخطوطات النفيسة ، من ذلك كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد تأليف شهاب الدين احمد ابن ماجد النجدي من اعيان القرن التاسع الهجري ، ورسائل المؤلف نفسه هي اراجيز ذات ابحاث مختلفة اكثرها في الملاحة وما يتعلق بها .

وختم الاستاذ الكرمي مقالته بقوله : « ولم أجد في كل هذه الرسائل سالماً من التحريف الا الارجوزة الاخيرة وهي المنسوبة لعلّي بن ابي طالب (رضه) . وبالجملة فان هذا الكتاب من النوادر التي لم نر في بابها مثله وحبذا لو نجد منه نسخة صحيحة سالمة لنقابل هذي عليها . »

ومن غرائب الاتفاق ان وردتنا في الشهر الفائت نشرة بالفرنسية من الكتيبي پول غطنر (*Paul geuthner*) في شارع جاكوب رقم ١٣ في باريس . عنوانها مؤلفات ابن ماجد الملقب باسد البحر — ربان فاسكودي غاما (الذي طاف حول الارض) . استخرجها وترجمها وعلق حواشيها غبريال فران (د) (*Gabriel Ferrane*)

وسيصدر هذا الكتيبي اربعة مجلدات : —

(الاول) فوائد في الملاحة لابن ماجد منقولاً بالتصوير الشمسي عن المخطوطات النادرة الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢٢٩٢ و ٢٥٥٩ وسيقع في ٣٩٨ صفحة عربية .

(الثاني) فوائد في الملاحة لسليمان المبري منقولاً بالتصوير الشمسي عن مخطوطات رقم ٢٥٥٩ وهي مباحث ثرية وستقع في ٢٦٢ صفحة عربية

(الثالث) ترجمة الاقسام الجغرافية في المخطوطات المذكورة وشرحها مع تفسير الاصطلاحات العربية في فن الملاحة .

(الرابع) تراجم بعض الادلاء (*Routiers*) القدماء البرتوغال .

وسيفظهر المجلد الاول في تسعة كراريس كل منها ٤٨ صفحة وثمن الكراريس الواحد عشرون فرنكاً على شرط الاشتراك في الكراريس جميعها .
ولقد اظن الاستاذ فران سيف مدح ابن ماجد وعزا الفضل في تفوق الملاحة البرتوغالية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الى المعلومات التي اخذها البرتغال عن العرب .

ووصف كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد فقال انه يتضمن البحث عن اصول الملاحة وحجر المغناطيس ومنازل القمر الثمانية والعشرين والنجوم التي تقابل اقسام الابرّة المغناطيسية الاثني والثلاثين (الحك) . وعرض بعض الثغور على الاوقيانوس الهندي والبحر الصيني وشكل البرور (جمع بر) ومراسي ساحل الهند الغربية ، والجزر العشر الكبرى المشهورة — شبه جزيرة العرب ، جزيرة قر او مدغسكر ، سومطره ، جاوه ، الفور او فرموزه ، سيلان ، زنجبار ، بحر بن وابن غوان *Gawan* في خليج فارس ، سوقوطره — والرياح (المواسم) *Moussono* — الرياح الدورية في المحيط الهندي . وختم هذه المباحث وصف البحر الاحمر بالنفصيل — ذكر مراسيه واعماقه وصخوره الظاهرة والخفية . ويقول (سلان) *Slane* في برنامج ٢٢٩٢ ان لغة هذه المخطوطات تكثر فيها الاصطلاحات التي لم تكن معروفة الا عند ملاحي البحر الهندي .

ويتلو هذا وصف « حاوية الاختصار في اصول علم البحار » وهي ارجوزة تحتوي على احد عشر فصلاً تبحث عن العلامات التي يجب على الرابطة معرفتها استدلالاً على قرب البر ، وعن منازل القمر ومهاب الرياح ، وعن السنة الهجرية والرومية والقبطية والفارسية ، وعن معرفة الباشي (؟) *Basi* ورياحها (المواسم) وازمنة هبوبها وسكونها (على الحساب الفارسي) وعن طريق سير السفن على ساحل العربية والحجاز وسيام وشبه جزيرة ملقا واطراف بلاد الزنوج الخ . وعلى سواحل الهند الغربية وسواحل القرومندل والناط والبنغال وسيام حتى جزيرة بليطون والمهرجا (جاوه) والصين وفرموزه ، وعن سير السفن على سواحل جزر مهرجا وسومطره والغال (لكيديفنيا) ومدغسكر واليمن والحش وبلاد الصومال والاطوح (جنوبي العربية)

والمقران ، وعن المسافات بين الثغور العربية والثغور الهندية . وعن عرض الثغور على البحر الهندي الخ .

ثم اتى على ذكر الاراجيز والقوائد التالية :

- (١) ارجوزة موضوعها الملاحة في خليج بربا او عدن تاريخها سنة ١٤٨٥
- (٢) ارجوزة في معرفة القبلة في جميع الاقطار تاريخها سنة ١٤٨٨
- (٣) ارجوزة من مئة بيت على بر العرب في خليج فارس
- (٤) ارجوزة من ٢٢٠ بيتاً على فائدة الاستدلال ببعض النجوم في بنات نعش الكبرى وبنات نعش الصغرى على السير في البحر .
- (٥) ارجوزة (والاستاذ الكرمي ذكر انها قصيدة من بحر البسيط اولها :
يا ايها الناس معاشتم قولوا الارض معلومة والبحر مجهول
وهو الصحيح واسمها كنز المعاملة . (وفي النشرة الافرنسية كنز المعلم) وذخيرتهم
في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج واسماؤها واقطابها — وكانت يطلق عليها
للاختصار (كنز المعاملة) وتاريخها قبل ١٤٨٩
- (٦) ارجوزة من ٢٥٥ بيتاً تتضمن ذكر المراسي على ساحل الهند الغربية وعلى
ساحل العربية الواقعة بين الدرجة السادسة والدرجة الرابعة والعشرين والدقيقة
الخمسين شمالاً .
- (٧) ارجوزة من ٦٤ بيتاً اسمها (الميمة) موضوعها فائدة بعض النجوم الشمالية
في سير السفن . تاريخها قبل ١٤٨٩
- (٨) ارجوزة من ٥١ بيتاً (من الرجز الخمس) تتضمن ذكر الكواكب المفيدة
في الملاحة .
- (٩) ارجوزة من ١٣ بيتاً على الشهور الرومية — تاريخها قبل ١٤٨٩
- (١٠) ارجوزة من ١٩٢ بيتاً اسمها (ضريبة الضرائب) في ذكر الكواكب النافعة
في الملاحة — تاريخها قبل ١٤٨٩
- (١١) ارجوزة من ٤٨ بيتاً منسوبة لعلي بن ابي طالب في معرفة منازل القمر
وحقيقتها في السناه واشكالها وعددها واصافها التامة — تاريخها قبل سنة ١٤٨٩

- (١٢) قصيدة من ١٧٢ بيتاً اسمها (المكبة) في الطرق البحرية من جدة الى راس قرتك (جنوبي بلاد العرب) فكاليكوث فدابول فالكنكان فالغزارة فالاطوح فهرموز (والارجح ان بعض هذه الاسماء محرف بنقله من العربية الى الافرنسية)
- (١٣) ارجوزة من ٥٦ بيتاً اسمها (نادرة الابدال) على النسر الواقع والعيوق
- (١٤) قصيدة من ١٩٤ بيتاً اسمها (الذهبية) تبحث عن الصخور البحرية وعن الاعماق وعلامات البرائح — تاريخها قبل ١٤٨٩
- (١٥) قصيدة من ٥٧ بيتاً في الضفدع والاسماك والحيتان .
- (١٦) ارجوزة في مراقبة بعض النجوم والابراج .
- (١٧) تسعة فصول تثر مخضرة في المارذا (؟) *Mariza* وسهر الاغوار في المحيط الهندي .

- (١٨) ارجوزة من ٣٠٥ ابيات عنوانها (السبعية) في مباحث بحرية وتاريخها سنة ١٤٨٣
- (١٩) ارجوزة من ٣٣ بيتاً لا اسم لها ولا تاريخ موضوعها علم الفلك في الملاحة
- (٢٠) قصيدة من ١٥٥ بيتاً اسمها (الهادية) في النجوم التي توافق رسو السفن وفي وصف المراسي على الشواطئ من (صني) الى دابول .
- وفي هذه المخطوطات ذكر الخاني رسائل آخر في الملاحة لابن ماجد لم يظفر بها بعد .

ان صاحب هذه المصنفات هو شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر بن فضل بن (دويك) ؟ *Duvik* بن يوسف بن حسن بن حسين بن علي معلق السعادي بن علي ركائب التجدي . وهو يلقب بنفسه بشاعر القبلتين اي مكة والقدس الذي حج الى الحرمين الشريفين — سليل الاسود (وكني بهم المعلمين الثلاثة اي الربانة المشهورين في زمانه الذين عاشوا في القرن الثامن للميلاد ووضعوا اصول الملاحة وقد كانت محاولة من قبلهم) رابع الثلاثة (اي الربانة الثلاثة) اسد البحر الهاج . كتب جده رسالة في الملاحة في البحر الاحمر خدمة للسفن التي نقل الحجاج وزاد عليها والده (اي والد

ابن ماجد (نتيجة اختبارات الشخصية ثم قام ابن ماجد نفسه وفاق والده وجده واكمل ما سبقاه اليه .

وفي الحقيقة ان رسائل ابن ماجد في الملاحة وتاريخ كتابتها بين ١٤٦٢ و ١٤٨٩ — ٩٠ انما هي مجموعة كاملة لكل ما عرف في اصول هذا الفن علماً وعملاً الى اواخر العصور المتوسطة . ولحسن الحظ قد حفظت مؤلفاته الى ايامنا هذه . وما يدعو الى الاعجاب والاستغراب وصفه للبحر الاحمر فانه وان كان فيه شيء من الخلل في حساب العرض ناثي عن قصور الآلات التي كانت تستعمل في زمانه فهو مما لم يسبقه اليه بل لم يدانه فيه احد من الكتاب الاوربيين الذين كتبوا في الملاحة الشراعية . كذلك ما كتبه عن الرياح (المواسم) الدورية وعن الرياح المحلية وعن طرق السير الى الاساكل في المحيط الهندي فانه كله في غاية من الدقة والكمال بل لا يمكن ان يكتب افضل منه في القرن الخامس عشر فضلاً عن انه لا يوجد في اية لغة كانت لذلك العهد شيء من مثله .

هذا وناهيك ان ابن ماجد هو شخص تاريخي معروف وسنثبت بالمستندات الراهنة انه هو الربان العربي الذي سیر الاسطول البرتغالي بقيادة فاسقودي غاما من مالندي على ساحل افريقيا الشرقية الى كلكتا في الهند .

وقواعد الملاحة التي وضعها ابن ماجد ظل البحارة المسلمون في ملديفيا على اعتادها الى اواسط القرن التاسع عشر . ولقد ذكر برن الانكليزي ان بحارة عدن في سنة ١٨٥٤ كانوا قبل السفر يتلون الفاتحة اكراماً للشيخ ماجد (مخترع الابرة المغناطيسية) ولا ريب ان المقصود بالشيخ ماجد هو ابن ماجد نفسه لا سواه .

والقسم الاخير من تلك النشرة مخصص بالرسائل الخمس لسلیمان بن احمد المهري (نسبة الى مهرة في جنوبي بلاد العرب) المحمدي الذي عاش في النصف الاول من القرن السادس عشر . وعنوان الرسالة الخامسة تحفة الفحول في تمهيد الاصول وهي تحتوي على سبعة اقسام في وصف الكرات والنجوم ومعرفة الدائرة عملياً . وفي الزام

(مسافة ثلاث ساعات سيراً) . وفي الطرق البحرية ومراقبة النجوم لتعيين عرض
الامكنة وفي المسافات بين بعضها البعض وفي الرياح .
ويستدل من كتاب المحيط الذي وضعه امير البحر التركي سيدي علي ان سليمان
المهري لم يكن حياً في سنة ١٥٥٣ ومن ثم فرسائله الخالية من التواريخ يجب ان تكون
قد كتبت قبل سنة ١٥٥٣

بقي ان نقول ان اصول علم البحر التي وضعها ابن ماجد وسليمان المهري تشرح
بالتفصيل حالة الملاحة والمواصلات البحرية في البحار الشرقية بين سواحل افريقيا
الشرقية وشرزيتون (هي تسوانتشو في الصين) الى فوكين . وتتناول البحر الاحمر
وخليج فارس وجميع الجزر في المحيط الهندي وبحر الصين الغربية والارخبيل الاسيوي
الكبير . وهي فريدة في بابها بل لا ثمن لتاريخ الملاحة والتجارة في البحور الشرقية
وفي الشرق الاقصى قبل ظهور فاسقودي غاما وبداية الفتح البرتغالي .
بيروت : الجامعة الاميركانية
بولس الخولي

